

«تَطَالُعُهَا وَقَلْبُكَ لَيْسَ صَاحِي»

قصيدة للشيخ البهائي في ذم «تكديس» المعارف

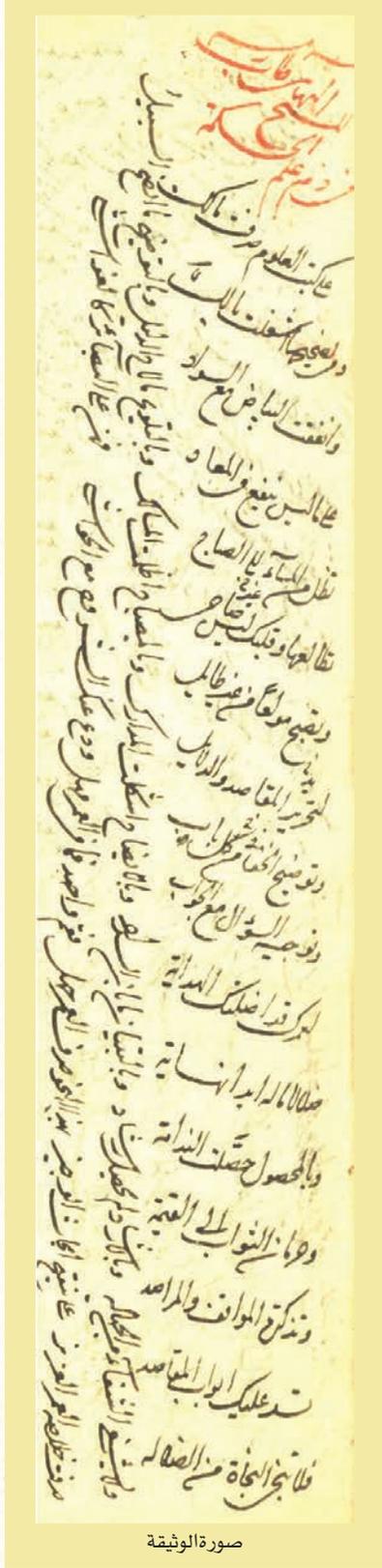
مركز الفقيه العاملي

هذه الأبيات للشيخ البهائي عليه السلام ذكرها في الجزء الأول من (الكشكول)، في إشارة منه إلى حال من صرف العمر في جمع الكتب وإذخارها. وما بين الأهله أسماء لكتب في علوم شتى، استعملها رضوان الله عليه في نظم أبيات القصيدة.

ولا يخفى أن غرض الشيخ البهائي ليس النهي عن الاشتغال بالعلوم، وإنما التحذير من حصر الاهتمام بتكديس المعلومات وجمع الألفاظ، وأن يصبح طلب العلم هدفاً بذاته وليداته، عوض أن يكون وسيلة يروجو بها المتعلم النجاة، كما في حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعا...».

وفي مطاوي الأبيات ما يشير إلى أن التعلم يجب أن يتلازم مع «يقظة القلب»، و«التبته إلى المقاصد الحقيقية»، وأن الغرض منه هو «معرفة السبيل الواجب اتخاذه»، و«الانتفاع والثواب به يوم القيامة».

على كُتُبِ العُلُومِ صَرَفْتَ مَالِكُ وفي تَصْحِيحِهَا أَشْغَلْتَ بِالْكُ
وَأَنْفَقْتَ الْبِياضَ مَعَ السَّوَادِ إلى مَا لَيْسَ بِنَفْعٍ فِي الْمَعَادِ
تَظَلُّ مِنَ الْمَسَاءِ إِلَى الصُّبْحِ تُطَالِعُهَا وَقَلْبُكَ لَيْسَ صَاحِي
وَتُصْبِحُ مَوْلَعاً مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ بِ (تَحْرِيرِ) (الْمَقَاصِدِ) وَ(الدَّلَائِلِ)
وَ(تَوْضِيحِ) الْخَفَا فِي كُلِّ بَابٍ وَتَوْجِيهِ السُّؤَالِ مَعَ الْجَوَابِ
لَعَمْرُكَ قَدْ أَضَلَّتْكَ (الْمُهَادِيَةِ) ضَلَالاً مَا لَهُ أِبْدَاءُ (نَهَائِيَةِ)
وَ(الْمَحْصُولِ) حَصَلَتِ التَّدَامَةُ وَحَرَمَانَ الثَّوَابِ إِلَى الْقِيَامَةِ
وَ(تَذَكُّرِ) (الْمَوَاقِفِ) وَ(الْمَرَاصِدِ) تَسُدُّ عَلَيْكَ أَبْوَابَ الْمَقَاصِدِ
فَلَا تُنْجِي (النَّجَاةُ) مِنَ الضَّلَالَةِ وَلَا يَشْفِي (الشِّفَاءُ) مِنَ الْجَهَالَةِ
وَ(الإِرْشَادِ) لَمْ يَحْصُلِ رِشَادُ وَ(التَّبْيَانِ) مَا بَانَ السَّادُ
وَ(الإِيضَاحِ) أَشْكَلَتْ (الْمَدَارِكُ) وَ(الْمُضْبَاحِ) أَظْلَمَتْ (الْمَسَالِكُ)
وَ(التَّلْوِيحِ) مَا لَاحَ الدَّلِيلُ وَ(التَّوْضِيحِ) مَا اتَّضَحَ السَّبِيلُ
صَرَفْتَ خُلَاصَةَ الْعُمَرِ الْعَزِيزِ عَلَى (تَنْقِيحِ) أَبْحَاثِ (الْوَجِيزِ)
بِهَذَا «النَّحْوِ» «صَرَفْتُ» الْعُمَرَ جَهْلُ فَكُنْ وَاجْهَدْ فَمَا فِي الْأَمْرِ مَهْلُ
وَدَعْ عَنكَ (الشَّرُوحَ) مَعَ (الْحَوَاشِي) فَهَنْ عَلَى الْبَصَائِرِ كَالْعَوَاشِي



صورة الوثيقة